

التاريخ البدائي

عالم من العنف

الدرس
الثالث



خدمات الألفية
الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي :

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيٍّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات:

I. المقدمة

II. البنية الأدبية

أ. العنف الباكر والرجاء

١. القصص

٢. الأنساب

ب. العنف واللاحق والرجاء

١. أبناء الله

٢. الطغاة

٣. كلمة ختامية

III. المعنى الأصلي

أ. الروابط

١. العنف الباكر والرجاء

أ. القصص

ب. الأنساب

٢. العنف اللاحق والرجاء

ب. المضامين

IV. التطبيق العصري

أ. التأسيس

١. العنف

٢. التحرير

ب. الاستمرار

١. العنف المستمر

٢. الإيمان المستمر

ج. الاكتمال

١. نهاية النعف

٢. التحرير النهائي

V. الخاتمة

التاريخ البدائي

الدرس الثالث

عالم من العنف

المقدمة

هل لاحظتم كيف يعرّض الأولاد الصغار أنفسهم الى الخطر بدون خوف؟ فهم يسيرون في وسط الشارع بدون الاكتراث لما يجري حولهم. ويلتقطون السكاكين الحادة بدون حذر. وبعض الأحيان يتجهون نحو الغرباء، يمسكون بأيديهم، يسيرون معهم - وهم غافلون عن العنف الذي يمكن أن يتعرضوا له. لكن البالغين طبعاً يعرفون أنّ العالم ملئ بكل أنواع المشاكل. فالكوارث الطبيعية تقضي على الحياة والممتلكات؛ والأمراض تجلب المعاناة؛ والآلات تلحق الأضرار بنا. نعلم أنّ أعظم المخاطر قد تصيبنا من قبل الآخرين. فإذا كنّا مطّلعين على تاريخ الجنس البشري، أو على الأحداث الحاضرة، فمن المستحيل تقريباً أن ننكر أنّ البشر قد ملأوا هذا العالم بالعنف.

أعطينا هذا الدرس عنوان "عالم من العنف"، وسنلقي نظرة على (التكوين ٤: ١ حتى ٦: ٨)، حيث يصف موسى المشاكل والعنف التي اندلعت في العالم بعد مدة قصيرة من سقوط الجنس البشري في الخطية. في هذه الإصحاحات، يصف موسى كيف بدأ البشر يملؤون العالم بالعنف، وكيف تجاوب الله مع المشاكل.

سنفحص ثلاثة جوانب في هذا الجزء من التكوين. أولاً، سنلقي نظرة على البنية الأدبية لهذه الآيات. وثانياً، سنركز على المعنى الأصلي لهذه الإصحاحات. وثالثاً، سنكتشف كيف يعلمنا العهد الجديد تطبيق هذه الآيات في حياتنا اليومية. دعونا ننظر أولاً على البنية الأدبية (لتكوين ٤: ١ حتى ٦: ٨).

البنية الأدبية

تتحدث هذه الإصحاحات في التكوين عن عدد من المواضيع المختلفة، وتشمل القصص والأنساب. وغالباً ما تترك هذه التعقيدات الانطباع بأن هذه الإصحاحات لا تتفق سويّاً بشكل جيد. عندما نفحص هذا الجزء من التكوين بدقة، سنرى أنه يشكل قطعة أدبية تمّت صياغتها ببراعة، ولها هدف موحّد.

عندما ندرس (تكوين ٤: ١-٦: ٨) سنرى أنّ هذا الجزء من سفر التكوين ينقسم إلى جزئين رئيسيين. يتألف الجزء الأول من (٤: ١ حتى ٥: ٣٢)، وأعطيناه عنوان: "العنف الباكر والرجاء". ويتألف الجزء الثاني من (٦: ١ حتى إصحاح ٨)، وأعطيناه عنوان "العنف اللاحق والرجاء".

العنف الباكر والرجاء

إنّ السيناريو الأول للعنف ورجاء الخلاص في تكوين ٤ و٥ ينقسم الى أربعة أقسام، وتشكّل هذه الأقسام مجموعتين متوازيتين من القصص والأنساب. فالإصحاح (٤: ١-١٦) تشكّل قصة توازي قصة ثانية في (٤: ٢٥-٢٦). كما أنّ (٤: ١٧-٢٤) تشكّل نسباً يتطابق مع نسب ثانٍ في (٥: ١-٣٢). سوف نفحص هذه الفقرات باستكشاف بعض العلاقات بين القصص المتطابقة. ثم سنفحص الجوانب المتوازية في كلا النسبين.

القصص

في البداية، كتب موسى قصة عن قايين الخاطيء في (٤: ١-١٦). هذه الفقرة هي السجل المعروف جيداً للوقت الذي حسد وغضب قايين فيه، وقتل أخاه هابيل. عندما ننظر بتمعن، يبدو واضحاً أنها تنقسم الى خمس خطوات دراماتيكية. تبدأ القصة في الآيتين ١ و٢، عندما عاش قايين وهابيل سوية بانسجام. ومع هذا، نجد في نهاية القصة في الآية ١٦ ظرفاً مختلفة. نرى قايين لوحده، يبعد عن الأرض الطيبة، وعن عائلته، وعن حضور الله الخاص.

الخطوة الثانية في القصة، في الآية ٢ لغاية الآية ٧، تتحدث عن الأحداث التي قادت قايين لقتل هابيل، وخاصة التمييز بين الذبائح التي قدّمها كل واحد منهما الى الله. ببساطة، قبل الله قربان هابيل لكنه رفض قربان قايين. كما أنّ الله حذّر قايين من قوة الخطية التي تسعى للسيطرة عليه، لكن قايين لم يُبد أي اهتمام.

الجزء الثالث من هذه القصة، في الآية ٨، يشكّل نقطة التحوّل في القصة. في هذا الجزء، قتل قايين أخاه هابيل. عندما كانا في الحقل بعيدين عن مكان تقديم الذبائح. وهناك سيطرت الخطية على قايين كما حذّره الله، وحولته الى أول قاتل في التاريخ البشري.

نجد الجزء الرابع من هذه القصة في الآيات ٩ - ١٥، ويصف اللعنة والحماية التي قدمها الله لقايين. وضع الله لعنة على قايين ونفاه تائهاً بعيداً عن أرض عدن، لكنه حماة من المهاجمين ضده.

إذاً، نرى أنّ التكوين في الإصحاحين ٤ و ٥ يبدأ بقصة خطية قايين الشنيعة. تغلّبت عليه الخطية لدرجة أنه قتل أخاه البار هابيل. وكنتيجة لذلك، كان مصيره النفي بعيداً عن مكان الحصول على بركات الله.

بعدما رأينا بنية القصة الافتتاحية في تكوين ٤-٥، ننتقل الآن الى القصة الثانية المذكورة في هذه الإصحاحات، أي القصة المطابقة في (٤: ٢٥-٢٦). تنقل هذه الفقرة انتباهنا من قايين الخاطيء، الى الابن الثالث لآدم وهو شيث البار. ينقسم السجلّ الخاص بشيث البار الى ثلاث خطوات قصيرة. الأولى في ٤: ٢٥ حيث ولدت حواء شيث. وتظهر الخطوة الثانية في (٤: ٢٦ أ)، حيث يذكر موسى أنّ "لِشِيثٍ أَيْضًا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أَنْوَشَ". لا توجد أية تفاصيل عن هذه الحادثة، لكن موسى بعد ميلاد أنوش ذكر الخطوة الثالثة في (٤: ٢٦ ب) وأضاف تعليقاً مؤثراً عن الصفة الروحية لهذه العائلة. كتب موسى الكلمات التالية في (٤: ٢٦ ب): "حِينَئِذٍ ابْتَدَأَ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ".

وببساطة، كان شيث وأنوش رجلين يطلبان الله في الصلاة. وبعكس قايين الخاطيء كان هذان الرجلان بارين أمام الله، وأظهرا هذا البرّ عن طريق العبادة المخلصة والصلاة.

الأنساب

بعد أن تحدثنا عن الفروقات الأساسية في هذه القصص المتوازية، ننتقل الآن الى الأنساب المتوازية في الإصحاحين ٤ و ٥. غالباً ما تبدو الأنساب المذكورة في تكوين ٤ و ٥ على أنها ليست أكثر من سجلات غامضة لسلاسل بيولوجية. ولهذا السبب يتغاضى كثير من المفسرين عن أهميتها. لكن نظرة فاحصة على الأنساب، تكشف على أنها تحتوي على معلومات هامة، ساهمت في تحقيق هدف موسى من كتابة هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية.

فمن ناحية، يسجل النسب الأول سلالة قايين المليئة بالخطية في (٤: ١٧-٢٤). في هذه الآيات، ذكر موسى عدداً من أنسال قايين وكيف حوّلت الخطية هذه العائلة الى عشيرة متكبرة ومتعالية. ويتألف النسب الثاني من سلالة شيث البارة في (٥: ١-٣٢). في هذه الفقرة، يسجّل

موسى عدداً من الأسماء الهامة في عائلة شيث. لكن بالمقارنة مع سلالة قايين، فإن هذه العائلة بقيت بارّة وأمينّة.

إنّ إحدى الطرق التي نستطيع بواسطتها أن نرى هذا الهدف، هو أن نلاحظ طريقة ذكر فيها موسى إسمين في كلا اللائحتين. يحتوي نسب قايين وسلالة شيث على اسمي **حنوك** و**لامك**، وأظهر موسى بكل وضوح الفرق بين هؤلاء الرجال.

اعتبر أولاً، ما قاله موسى عن الرجلين واسمهما **حنوك**. فمن ناحية، نقرأ في (تكوين ٤: ١٧) هذه الكلمات عن نسل قايين، أي **حنوك**: "وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً فَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ كَاسِمَ ابْنِهِ حَنُوكَ". تعالَى قايين وابنه **حنوك** بكبرياء بتسمية المدينة **كاسم حنوك**. يمكننا أن نرى أهمية هذه الملاحظة عندما نلاحظ ما كتبه موسى عن نسل شيث أي **أخنوخ**.

في (٥: ٢٤) كتب موسى عن "أخنوخ" الذي من نسل شيث، وهو نفس الاسم "حنوك" في النص العبري ما يلي: "وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللَّهِ وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ". من الصعب علينا أن نتخيل تبايناً بين رجلين أعظم من هذا التباين بين **حنوك الخاطئ** و**أخنوخ** أو "حنوك" البارّ.

بالإضافة الى التباين الذي رأيناه بين هذين الرجلين **حنوك** و**أخنوخ**، يذكر موسى أيضاً اسم **لاماك** من نسل قايين، و**لاماك** من نسل شيث. وهنا أيضاً نجد التباين الكبير بين هذين الرجلين. فمن جهة، كان **لاماك** من نسل قايين شخصية مرعبة.

تؤكد الآيتان في (تكوين ٤: ٢٣-٢٤) أنّ **لاماك** كان قاتلاً وكان يفتخر بأعماله بقتل الآخرين. وبعبارة ذلك، ليبين لنا شخصية **لاماك** من نسل شيث، موسى سجّل لنا كلمات **لاماك** عند ميلاد ابنه في (٥: ٢٩): "وَدَعَا (لاماك) اسْمَهُ نُوحًا. قَائِلًا هَذَا يُعَزِّيْنَا عَنْ عَمَلِنَا وَتَعْبِ أَيْدِينَا بِسَبَبِ الْأَرْضِ الَّتِي لَعْنَهَا الرَّبُّ".

وكما كانت العادة في أزمنة الكتاب المقدس، فقد دعا **لاماك** من نسل شيث ابنه **نوحاً** كصلاة الى الله، مُعَبِّراً عن الأمل بأن يجلب ابنه **نوح** الخلاص من حالة الحياة الرهيبة، التي ابتدأت عندما لعن الله الأرض في أيام آدم وحواء.

وبعد ما رأينا كيف يكشف لنا الإصحاحان ٤ و ٥ في التكوين نموذجاً عن العنف السابق ورجاء الخلاص، علينا أن ننتقل الى السيناريو الثاني من العنف والرجاء في (تكوين ٦: ١-٨).

العنف اللاحق والرجاء

عندما ننظر بدقة في هذه الآيات، يبدو من الواضح أن (٦: ١-٨) تنقسم الى ثلاث خطوات: أولاً، من الآية ١-٣ تتعلق بشخصيات تُدعى أبناء الله. وثانياً، من الآية ٤-٧ تركّز على شخصيات أخرى معروفة بالطغاة. وبعد هاتين الخطوتين، أضاف موسى كلمة ختامية في آية ٨، يشير فيها الى نوح مرة ثانية، على أنه الرجل الذي يكمن فيه رجاء الخلاص.

أبناء الله

تصف الخطوتان الرئيستان في هذه الآيات سلسلة من الأحداث التي تهدد الأرض بالمخاطر، ثم تعلن رد فعل الله تجاهها. دعونا ننظر أولاً الى التهديد الذي وجهه أبناء الله، ورد فعل الله في الإصحاح ٦: ١-٣. لسوء الحظ، فإن هذه الآيات هي من أصعب الآيات التي يمكن تفسيرها في سفر التكوين. تكمن صعوبتها بشكل رئيسي في الآية ٢ عندما نقرأ هذه الكلمات: "أَنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا."

لم يشرح موسى بالتحديد هوية أبناء الله أو بنات الناس. بوضوح، توقع أن يفهم قراءه الأصليون قصده. لكنه مستحيل على القراء المعاصرين، أن يحددوا هوية هؤلاء الأشخاص بدون أدنى شك. في تاريخ تفسير الكتاب المقدس، تم اقتراح ثلاثة تفسيرات معقولة: أولاً، يمكن أن يكون أبناء الله رجالاً من نسل شيث تزوجوا من نساء نسل قايين. هذا التفسير له ميزة بسبب الفروقات بين أنسال قايين وشيث في الإصحاحين ٤ و ٥ في التكوين.

البديل الثاني، هو أن أبناء الله يمكن أن يكونوا ملائكة، وبنات الناس مجرد بشر. لهذا التفسير ميزة أيضاً، لأن الملائكة غالباً ما يُدعون "أبناء الله" في العهد القديم، في فقرات مثل (أيوب ١: ٦)، (ومزمور ٢٩: ١).

البديل الثالث، هو أن أبناء الله كانوا ملوكاً أو نبلاء، اتخذوا من النساء القرويات زوجات لهم. إن لهذا التفسير أيضاً ميزة، لأن الملوك في الشرق الأدنى القديم غالباً ما كانوا يُدعون أبناء الله، كما يُدعى ابن داود ابن الله في (٢ صموئيل ٧: ١٤)، وفي (مزمور ٢: ٧). مع أنني أفضل التفسير الثالث، إلا أنه ينبغي ألا نكون متشبهين بأي تفسير معين. مع أنه لا يمكننا أن نتأكد من هوية هؤلاء الأشخاص، لكن نستطيع أن نكون متأكدين لما فعلوه.

تذكرون أننا قرأنا في (تكوين ٦ : ٢) أَنَّ "أَبْنَاءَ اللَّهِ... اتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً (من بنات الناس) مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا." هذه ليست اللغة الاعتيادية في العهد القديم للتعبير عن الزواج الشرعي، لكنها تشير بقوة الى أنه لا النساء ولا عائلاتهن وافقن على هذه العلاقات. يبدو أَنَّ أبناء الله، اتخذوا هؤلاء النساء زوجات لهم بالقوة وبدون موافقتهم. وقد تشير اللغة المستعملة هنا، أَنَّ أبناء الله ربما بالحقيقة كانوا يغتصبون هؤلاء النساء حيثما شاءوا. على كل الأحوال، إِنَّ العنف الذي أقامه قايين وانساله سابقاً، وصل الى مرحلة أعلى في الحياة: "انتهاك أعراض النساء".

بعدما وصف موسى خطر التهديد الذي مثَّله أبناء الله، تحوَّل الى فكرته الرئيسية، وهي "رد فعل الله تجاه هذه الأحداث". نقرأ الكلمات التالية في (تكوين ٦ : ٣): "... لَا يَدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ. لِزَيْغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً". سَيِّمَ اللهُ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي اسْتخدمتها الخطية لتجلب العنف على بني البشر، وأعلن أنه لن يحتمل هذا الفساد الى الأبد. ومع ذلك، قرر الله بنعمته أن يسمح للإنسان بأن يعيش ١٢٠ سنة قبل تنفيذ حكمه.

المجموعة الثانية من الأعمال التي جرت على الأرض وردَّ الفعل الالهي تجاهها مذكورة في (تكوين ٦ : ٤-٧)، وهي سجل الطغاة.

الطغاة

في الآية ٤ نقرأ عن تطوُّر وضع مهدد آخر:

"كَانَ فِي الْأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيْضاً إِذْ دَخَلَ بَنُو اللَّهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلَاداً. هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مِنْذُ الدَّهْرِ ذُووُ اسْمٍ."

تتبع بعض النسخ القديمة من الكتاب المقدس الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم وتترجم الكلمة العبرية طغاة بكلمة جبابرة. لكن هذه الترجمة للأسف ليست دقيقة لأنها لا تعطي المعنى الضمني للكلمة. إِنَّ آراء علماء الكتاب المقدس منقسمة حول المعنى الدقيق لهذه الكلمة، وعلى الأرجح أنها تشير الى المحاربين الأقوياء أو القادة العسكريين. في هذه الفقرة، وصف موسى بشكل محدّد هؤلاء الطغاة بأنهم "الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم". إِنَّ كلمة "جبابرة-hagiborim" في العبرية، تدل على المحاربين أو الجنود الأقوياء.

في هذا السياق، السمعة الحربية السيئة للطغاة تؤخذ بصفة سلبية. هؤلاء الرجال يتصنّفون بالحروب الاستغلالية العنيفة، وكانوا يقعون الرعب في قلوب مَنْ يحيط بهم. إِنَّ العنف الذي ابتدأ

عندما قتل قايين أخاه هابيل، واستمر على يد نسل قايين لاماك، وصل الى معدلات مرتفعة جداً عندما بدأ الجنود الطغاة يهددون بنشر العنف في كل مكان. نقرأ في الآية ٥:

وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.

بظهور الطغاة، ازداد فساد البشرية، الى درجة أن سيطرت الخطية على كل الإنسانية. ونتيجة لذلك، نقرأ في الايتين ٦ و ٧:

فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ. وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ. الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمٍ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لِأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمَلْتُهُمْ.

رأى الله كيف نشر الطغاة الرعب في عالمه، وقرّر أنّ الوقت حان للتدخل وإنزال الدمار العظيم.

كلمة ختامية

أنّ تكوين ٦: ١-٨ لا تنتهي بكلمات الدينونة. لكن بدلاً من ذلك، وباتّباع النموذج الرئيسي في هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية، أضاف موسى كلمة ختامية تُظهر الرجاء في آية ٨. نقرأ أنه بالرغم من أنّ الله صمّم على تدمير الإنسانية بسبب فساد الخطية، إلا أنه بقي واحد يقدم الرجاء: "وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ."

بهذه الكلمات، أنهى موسى سيناريو التهديد ورجاء الخلاص، حيث أنّ تدمير البشرية الخاطئة المليئة بالعنف بالطوفان هو الخلاص الوحيد للأجيال القادمة. من خلال فحصنا للنبية الأدبية (لتكوين ٤: ١ إلى ٦: ٨)، نرى أنّ هذه الإصحاحات في التكوين تركّز على قضيتين رئيسيتين: أولاً، تركّز على التهديد بنشر العنف من قبل الذين ثاروا ضد الله في أيام قايين وأنساله. وثانياً، تركّز على التهديد الذي قام به الخطة في أيام أبناء الله والطغاة. في كلتا الحالتين، أشار موسى الى أنّ الله سيعطي خلاصاً من خلال ابن شيث الوحيد الخاص، الرجل الذي يُدعى نوحاً.

بعدما رأينا البنية الأساسية والاهتمامات المركزية لهذا الجزء من تكوين، يمكننا أن نطرح السؤال الثاني: ماذا كان المعنى الأصلي لهذه الإصحاحات؟ ماذا كان موسى يحاول أن يُعلم بني إسرائيل عندما قادهم من مصر الى الأرض الموعودة؟

المعنى الأصلي

لكي نفهم المعنى الأصلي لهذا الجزء من تاريخ العصور البدائية، علينا أن نأخذ بالاعتبار قضيتين. الأولى، سنرى كيف ربط موسى هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية بخبرة بني إسرائيل. وثانياً، سنكتشف مضمون هذا الربط بالنسبة الى القراء الأصليين من بني إسرائيل. دعونا أولاً نرى الطرق التي بها ربط موسى هذه الإصحاحات بخبرات بني إسرائيل الذين كان يقودهم.

الروابط

ربط موسى هذه الإصحاحات من تاريخ العصور البدائية بعالمه المعاصر عندما وصف العنف الذي ساد في تاريخ البشرية القديم بطرق مشابهة الى حد كبير لخبرات العنف التي عانى منها بنو إسرائيل. وبعمله هذا، أشار موسى الى أن الصعوبات التي واجهها بنو إسرائيل كانت مشابهة للصعوبات التي حدثت في تاريخ العصور البدائية. لكي نستكشف كيف وصف موسى أوجه الشبه هذه، سنلقي نظرة أخرى على الجزئين الرئيسيين من (تكوين ٤: ١-٦: ٨).

السيناريو الأول للعنف السابق ورجاء الخلاص في الإصحاحين ٤ و ٥؛ والسيناريو الثاني للعنف اللاحق ورجاء الخلاص في (٦: ١-٨). دعونا نرى أولاً علاقة الإصحاحين ٤ و ٥ من تكوين بخبرة بني إسرائيل.

العنف الباكر والرجاء

عندما ننظر الى صفات الأشرار والأبرار في تكوين الإصحاحين ٤ و ٥، يبدو جلياً أن موسى صاغ هذه الآيات بطريقة يربط فيها قرآؤه قايين وعائلته بالمصريين، ويربطوا هابيل البار، وشيث وأنساله بأنفسهم كشعب الله. كيف بنى موسى هذه الروابط؟

القصص

علينا أن نبدأ بفحص قصة قايين الخاطيء في (تكوين ٤ : ١-١٦). في هذه القصة، ركّز موسى على خمسة اهتمامات سمحت لبني إسرائيل أن يربطوا هذه الفقرة بأزمئتهم. أولاً، ذكر موسى مهنة قايين وهابيل لكي يوضح هذه الروابط. لنقرأ الطريقة التي تمّ التعريف بها في البداية بقايين وهابيل في (تكوين ٤ : ٢) "... وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ وَكَانَ قَايِينُ عَامِلًا فِي الْأَرْضِ". كما تشير هذه الآية، كان قايين مزارعاً مستقراً في أرضه، بينما كان هابيل راعياً. في الأزمنة القديمة والحديثة، من الشائع أن تحدث التوتّرات بين المجتمعات الزراعية المستقرة، وبين الرعاة البدو. وكما يشير سفر التكوين، فإن موسى وبني إسرائيل كانوا على علم بهذا النوع من التوتّر الذي أدّى الى تجارب خطيرة عندما كانوا في مصر. في (تكوين ٤٦ : ٣٣ و ٣٤)، أعطى يوسف التعليمات التالية الى إخوانه عندما أتوا الى مصر:

فَيَكُونُ إِذَا دَعَاكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَالَ مَا صِنَاعَتُكُمْ. أَنْ تَقُولُوا عِبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ
صِبَانًا إِلَى الْآنِ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا جَمِيعًا. لِكَيْ تَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. لِأَنَّ كُلَّ رَاعِي
غَنَمٍ رَجَسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ.

تعطينا تعليمات يوسف بصيرة عن السبب الذي جعل موسى يذكر أنّ قايين كان مزارعاً وهابيل راعياً. أراد موسى من قرأته الإسرائيليين أن يربطوا بين قايين المزارع، والمصريين. وأراد من بني إسرائيل أن يقرنوا أنفسهم بالضحية "هابيل" المزارع. والرابط الثاني بين هذه القصة وقرّاء موسى الأصليين يظهر في الصفة البارزة للذبايح التي قدّمها قايين وهابيل. لقد رفض الله قربان قايين، كما يذكر الإصحاح ٤ في تكوين، وقبل قربان هابيل. إنّ السبب الذي لأجله ميّز الله بين هذه القرابين واضح في (تكوين ٤ : ٣-٤) حيث نقرأ هذه الكلمات: "... قَايِينُ قَدَّمَ مِنْ أثمارِ الْأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ. وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا."

لاحظوا الطريقة التي وصف موسى فيها القرابين، يقول في (الآية ٣) أنّ قايين قدّم "من أثمار الأرض"، لكنه يقول في الآية ٤ أنّ هابيل قدّم "... مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا". إنّ هذا التمييز هام للغاية.

قدّم قايين من الثمر الذي استطاع أن يجمعه من حقله. كانت عبادته اسمية لأنه لم يحتفظ بأفضل محصوله لله. لكن هابيل أطاع شريعة الله بإخلاص، عندما قدّم من سمان غنمه (التي كان لها قيمة عظيمة كذبائح في العهد القديم) والتي اختارها من أبكار غنمه (التي كان لها قيمة عظيمة بين الحيوانات بحسب شريعة موسى). كان قربان قايين بعيداً عن أهداف القرايين الحقيقية، مقارنة بقربان هابيل الصادق وعبادته المخلصة لله.

استخدم موسى أيضاً هذا التمييز بين قربان قايين وقربان هابيل لبيّن الصلات بين المصريين وبني إسرائيل. إنّ هذه الخلفية مدهشة عندما نتذكر أنّ أول مرة طلب فيها موسى من فرعون إطلاق سراح بني إسرائيل، كانت لأنه أراد أن يقدم الذبائح إلى يهوه.

وكما نقرأ في (الخروج ٥: ٣)، قال موسى وهرون لفرعون: "... أَلِهَ الْعِبْرَانِيِّينَ قَدِ النَّقَانَا فَنَذُوبُ سَفَرٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَنَذْبُحُ لِلرَّبِّ الْهِنَا." لكن فرعون رفض طلبهم. وكما سجّل موسى في الآية ٤، قال لهما فرعون: "... لِمَاذَا يَا مُوسَى وَهَارُونَ تُبْطِلَانِ الشَّعْبَ مِنْ أَعْمَالِهِ. اذْهَبَا إِلَى أَثْقَالِكُمَا."

وكما أنّ قايين لم يُكرم الله بذبائحه التي كانت بالاسم فقط، فإن المصريين أيضاً لم يقدموا العبادة الحقيقية لإله بني إسرائيل. لكن كما قدّم هابيل ذبائح مقبولة وصادقة، هكذا قدّم بنو إسرائيل العبادة الحقيقية ليهوه. بهذه الطريقة ربط موسى بين مصر وقايين، وبين بني إسرائيل وهابيل. الطريقة الثالثة التي ربط فيها موسى بين قايين وهابيل، وبين اختبار بني إسرائيل، كانت من خلال الدافع للقتل. قتل قايين أخاه هابيل، وتصبح أهمية هذه الحادثة أكثر وضوحاً عندما نتذكر قتل بني إسرائيل في مصر.

نقرأ في الخروج ١ و ٢ أنّ المصريين لم يرهقوا بني إسرائيل بالعمل فحسب، لكنهم قتلوا الكثيرين منهم، بمن فيهم الأطفال. وبهذه الطريقة أقام موسى روابط مشتركة بين قايين والمصريين، وبين هابيل وبني إسرائيل.

الطريقة الرابعة التي بيّن فيها موسى هذه الروابط كانت بوصف مكان قايين على الأرض. عندما لعن الله قايين لقتله هابيل، نفاه من الأرض الخصبة. كما نقرأ في (تكوين ٤: ١١ و ١٢): "فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الْأَرْضِ... مَتَى عَمِلْتَ الْأَرْضَ لَا تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا."

كانت اللعنة التي حلّت على قايين هي أن يعيش في أمكنة تعطي أرضها إنتاجاً ضئيلاً. إنّ هذا الوصف لمكان قايين يتطابق بشكل جيد مع تقييم موسى لأرض مصر وللأرض التي كان يقود

بني إسرائيل إليها. انظروا الى الطريقة التي قارن بها موسى بين أرض كنعان وبين مصر في (التثنية ١١ : ١٠-١٢):

لَأَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكَهَا لَيْسَتْ مِثْلَ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا حَيْثُ كُنْتَ تَزْرَعُ زَرْعَكَ وَتَسْقِيهِ بِرِجْلِكَ كَبُسْتَانَ بِقَوْلٍ. بَلِ الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ إِلَيْهَا لَكِي تَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضٌ جِبَالٌ وَبِقَاعٍ. مِنْ مَطَرِ السَّمَاءِ تَشْرَبُ مَاءً. أَرْضٌ يَعْتَنِي بِهَا الرَّبُّ الْهَيْكَلُ.

أرسل الله قايين الى مكان بعيد عن عدن، الى مكان مثل مصر، حيث كانت الزراعة تتطلب جهداً كثيراً. هذه الحقيقة كانت بمثابة طريقة أخرى أراد بها موسى من قرائه الإسرائيليين أن يربطوا بين قايين والمصريين.

والطريقة الخامسة التي ربط بها (تكوين ٤ و ٥)، ما بين قايين ومصر، وهابيل وبني إسرائيل، كانت في موضوع حماية قايين. فمع أن قايين قتل أخاه هابيل إلا أن الله حماه من الأذى. نقرأ الكلمات التالية من الله في (تكوين ٤ : ١٥) "... كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ." لقد حمى الله قايين من الأذى بالرغم من أنه كان قاتلاً. مرة أخرى، نرى أن موسى وصف هذه الأحداث لكي يربط بنو إسرائيل بينها وبين خبرتهم الخاصة في مصر. لقد قدم الله حماية عظيمة لمصر. فمع أن المصريين كانوا قتلة ويستحقون الدينونة الالهية، إلا أن الله اختصهم بالحماية لمدة طويلة.

وهكذا نرى أنه من خلال خمس طرق على الأقل، قدم موسى خمسة جوانب متوازية بين فترة العصور البدائية وخبرة بني إسرائيل عند خروجهم من مصر. إنَّ المواضيع المتعلقة بالاحتلال، والعبادة، والقتل، والمكان، والحماية، تشير جميعها الى أن موسى أراد من قرائه الإسرائيليين أن يطبقوا هذه الأحداث في حياتهم عن طريق ربط قايين بالمصريين، وربط هابيل بانفسهم كشعب الله. وبعدها رأينا هذه الروابط المذكورة في قصة قايين الخاطيء، ننقل الان الى النص الموازي المتعلق بشيث البار في (تكوين ٤ : ٢٥ و ٢٦). كما رأينا سابقاً، يعطينا موسى ملاحظة هامة عن شيث وابنه أنوش. في تكوين ٤ : ٢٦ نقرأ الكلمات التالية: "... حِينَئِذٍ ابْتَدِئْتُ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ." ذكر موسى هذه الحقيقة عن شيث وابنه، لكي يُقرن أو يربط قراؤه أنفسهم ليس بهابيل فحسب، ولكن بشيث أيضاً، ابن آدم الذي أخذ مكان هابيل.

أولاً، نرى أنّ شيث استخدم الاسم الالهي يهوه، ممّا جعله مقترناً ببني إسرائيل. ومن المُلفت للنظر، أنّ الخروج يُوضّح أنّ اسم يهوه احتلّ مكانة بارزة في أيام موسى. فمثلاً تكلم الله الى موسى بهذه الطريقة في (خروج ٣: ١٥):

...هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَهُوهَ إِلَهُ آبَائِكُمْ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ
أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ قَدَوْرٍ.

مع أنّ سجلّ الكتاب المقدس يشير الى أنّ اسم يهوه كان مستعملاً منذ أيام شيث، إلاّ أنه أصبح في زمان موسى الاسم الرئيسي الذي يُستَخدم عند ذكر الله. ولهذا السبب استطاع بنو إسرائيل المخلصون تحت قيادة موسى أن يُقرنوا أنفسهم بشيخ البار. وهم أيضاً، مثل شيث، اعتزّوا باسم يهوه.

وثانياً، استطاع بنو إسرائيل أن يقرنوا أنفسهم بشيخ من خلال موضوع الصلاة. يظهر هذا الدافع في تكوين ٤: ٢٦ عندما كتب موسى أنّ عائلة شيث "ابْتَدَى أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ". في العهد القديم غالباً ما كانت عبارة "يدعو باسم الرب" تعني يصرخ طالباً مساعدة الهية في وقت الضيق أو الحاجة.

في ضوء هذه الحقيقة، نرى أنّ موسى أقام رابطاً ثانياً بين في أيامه. ومن بقية الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، نجد أنه عند خروج بني إسرائيل من مصر، صرخوا الى يهوه طالبين مساعدته في وقت الأزمات، مثلما دعا شيث وأنوش باسم الرب. إذن نرى أنّ موسى سرد هذه القصص عن قايين الخاطيء وشيخ البار ليشكّل جوانب متوازية مع عالمه المعاصر. أراد موسى من قرائه أن يلاحظوا أنّ المصريين كانوا مثل قايين. وأراد من قرائه أيضاً أن يقرنوا أنفسهم بهابيل وشيخ. بعدما عرفنا هذه الروابط الأساسية، أصبحنا مستعدين لننتقل الى نسل قايين ونسل شيث.

الأنساب

كما سنرى، فإن موسى وصف هذه الأنساب كي يستمر بنو إسرائيل في ربط المصريين بالأشرار، وربط أنفسهم بالأبرار. ولكي يشرح هدفه الرئيسي، يصف موسى في (تكوين ٤: ١٧-٢٤) نسل قايين بصورة تظهر الروابط بينه وبين مصر بشكل لا يثير الجدل. تظهر هذه الروابط في ست طرق على الأقل:

أولاً، ركّز موسى على قايين كشخص يبني مدينة. كما كُتب في (تكوين ٤ : ١٧): "...وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً..." وغني عن القول، عرف بنو إسرائيل جيداً بأن المصريين كانوا مشهورين في بناء المدن - حيث أنّ بناء مدن المصريين كان جزءاً من عمل بني إسرائيل أثناء عبوديتهم في مصر. ولهذا السبب، خلقت هذه الكلمات عن قايين روابط قوية مع المصريين.

ثانياً، ينبغي أن نلاحظ اسم مدينة قايين، ومرة أخرى، نقرأ في (تكوين ٤ : ١٧): "...وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً. فَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ كَاسْمِ ابْنِهِ حَنُوكَ." بالنسبة الى بني إسرائيل أيام موسى، هذه الحقيقة دكرتهم بإحدى ممارسات المصريين.

كما ذكرها موسى في (خروج ١ : ١١) 'فَجَعَلُوا (المصريون) عَلَيْهِمْ (على بني إسرائيل) رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذَلُّوهُمْ بِأَتْقَالِهِمْ. فَبَنُوا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْنِ مَخَازِنَ فِيثُومَ وَرَعْمَسِيَسَ.' دُعيت مدينة رعمسيس بهذا الاسم إكراماً للفرعون رعمسيس. كان المصريون، مثل قايين، يدعون مدنهم على حسب أسماء الفراعنة، أي رمز مجدهم وكرامتهم. بهذه الطريقة، قدّم لنا نسب قايين رابطاً آخر بين قايين والمصريين.

والرابط الثالث بين نسل قايين ومصر، يظهر في موقف الكبرياء الذي أعلنه نسل قايين لاماك في عمل القتل الذي قام به. نقرأ في (٤ : ٢٣) أنّ لاماك بالحقيقة أنشد ترنيمة حمد لنفسه أمام زوجاته: "...عَادَةٌ وَصِلَّةٌ. اسْمَعَا قَوْلِي يَا مَرَاتِي لَامَكَ. وَأَصْغِيَا لِكَلَامِي. فَإِنِّي قَتَلْتُ رَجُلًا لِحُرْجِي...."

إنّ افتخار لاماك بقساوته الوحشية ربطته بالمصريين في اذهان بني إسرائيل في القديم. ولا شك أنّ بني إسرائيل كانوا على علم بأن النقوش المصرية القديمة تمدح الفراعنة وجيوشهم لأعمال القتل البطولية التي كانوا يقومون بها. يظهر الرابط المشترك الرابع في اهتمام موسى لموت الأطفال. لنصغ ثانية الى ما يقوله لاماك في (٤ : ٢٣): "...فَأِنِّي قَتَلْتُ رَجُلًا لِحُرْجِي. وَفَتَى لِحُدْحِي." إنّ الكلمة العبرانية المترجمة "فتى" هي "yēled" التي غالباً ما تُترجم "صبي". إنّ أحد ضحايا لاماك في أغلب الظن كان أكبر من الصبي بقليل.

كما نعرف جميعاً، في الإصحاح الأول من الخروج، أمر فرعون بقتل الأولاد الإسرائيليين. ومثلما فعل لاماك من نسل قايين، ضرب المصريون بني إسرائيل القاصرين عن حماية أنفسهم وقتلوا أولادهم الذكور. ويظهر الرابط المشترك الخامس بين عائلة قايين وبين المصريين في طلب لاماك للمزيد من الحماية. في (تكوين ٤ : ٢٤)، ادعى لاماك بأنه يتمتع بحماية أكثر من قايين: "إِنَّهُ يُنْتَقَمُ لِقَايِينَ سَبْعَةً أَضْعَافٍ. وَأَمَّا لِلَامَكَ فَسَبْعَةٌ وَسَبْعِينَ." مثلما اعتقد لاماك أنّ الله كان يحميه، كان

فراعنة مصر واثقين بحماية الهتهم لهم. وبالحقيقة، بدأ الأمر وكأن المصريين قد تمتعوا لسنوات كثيرة بالحماية الإضافية ضد الأذى.

وسادساً، علينا أن نلاحظ التطور الحضاري في نسل قايين. لنصغي الى الأسلوب الذي وُصف به هؤلاء الإخوة الثلاثة يابال، يوبال، وتوبال قايين في (تكوين ٤ : ٢٠-٢٢)

...يَابَالُ الَّذِي كَانَ أَبًا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرِعَاةِ الْمَوَاشِي... يُوبَالُ الَّذِي كَانَ أَبًا لِكُلِّ
ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ... تُوبَالُ قَايِينَ الضَّارِبِ كُلِّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ...

بهذه الكلمات وصف موسى عائلة قايين بأنها كانت متطورة للغاية. لم يكن نابال مجرد راع لكنه ابتكر تربية المواشي. ويوبال ابتكر الموسيقى، وتوبال قايين ابتكر صناعة المعادن. من المؤكد أنه كان صعب على بني إسرائيل في أيام موسى، أن لا يلاحظوا هذه العلاقة. كانت ثقافة مصر متطورة جداً، بالمقارنة مع الحياة البدوية لأباء بني إسرائيل. وصف موسى نسب قايين الممتلئ بالخطية ليؤكد على هذا الرابط الذي كان يريد لقراءه أن يجده بين نسل قايين والمصريين.

إذاً، نرى أنه من خلال ست نقاط على الأقل، ربط موسى بين نسب الكنعانيين والمصريين. إنَّ وصفه لبناء المدن، وتسمية المدن، والافتخار بالقتل، والعنف ضد الأولاد، والحماية الإلهية، والتطور الحضاري ساهمت جميعها في خلق هذه الروابط.

وننتقل الآن الى نسل شيث في (تكوين ٥ : ١-٣٢). وكما هو متوقع، فإن موسى وصف نسل شيث لكي يستطيع قراءه من بني إسرائيل أن يقرنوا أنفسهم بنسل شيث. هذا الاقتتان كان مبنياً على أربعة عوامل. أولاً، يجب أن نلاحظ أنه على المستوى البيولوجي، كان شعب إسرائيل منحدرًا من نسل شيث. في (تكوين ٥ : ٣٢)، نقرأ أسماء أبناء نوح الثلاثة: "وَكَانَ نُوحٌ ابْنٌ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ. وَوُلِدَ نُوحٌ: سَامًا وَحَامًا وَيَافֶثَ."

كان لإسم سام أهمية خاصة لدى موسى لأن سام كان الجد الأكبر لبني إسرائيل. وفي اللغات الحديثة نشق اسم "السامية" من اسم سام. ومع أن شعوباً أخرى انبثقت من نسل سام، إلا أن بني إسرائيل كانوا شعب الله المختار من بين أنسال سام. إذاً، بهذه الصورة البيولوجية البسيطة، ربط موسى بين قرائه الإسرائيليين ونسل شيث.

والرابط الثاني بين نسل شيث وبني إسرائيل تظهر في تكرار التركيز على برّ أنسال شيث. تتّصف سلالة شيث بالأمانة والبرّ.

فمثلاً، وبحسب (تكوين ٥ : ٢٤) "وَسَارَ أَخْنُوخٌ مَعَ اللَّهِ وَلَمْ يُوجَدْ..." في النسخة العبرية من الكتاب المقدس، لا تظهر العبارة المترجمة "سار مع الله" إلا بالإشارة الى أخنوخ في تكوين ٥ : ٢٢ و ٢٤، وبالإشارة الى نوح في (تكوين ٦ : ٩). ومع ذلك، ومرة تلو الأخرى، خاصة في سفر التثنية، طلب موسى من بني إسرائيل أن يتمثلوا بأخنوخ بالسير في طرق يهوه. بهذه الطريقة، وجد بنو إسرائيل المخلصون الذين كانوا يتبعون موسى طريقة أخرى تُقرنهم بسلالة شيث، كان هدفهم أن يصيروا مثل أخنوخ.

الرابط الثالث بين نسل شيث وتجارب بنو إسرائيل تظهر في تشديد موسى على أعداد أولاد شيث. نتعلم من نسل شيث أن أنساله أصبحوا أعداداً كبيرة. أبرز موسى ازدياد عدد أفراد عائلة شيث بتكرار عبارة "ولدوا بنين وبنات". وبالحقيقة فإنه ذكر هذه العبارة تسع مرات في (تكوين ٥). إن هذا التشديد على أعداد الأشخاص في سلالة شيث كان هاماً بالنسبة لقراء موسى الإسرائيليين، لأنهم عرفوا أن الله باركهم بعظمة، بتكاثر أعدادهم في مصر وأثناء خروجهم.

ورابعاً، شدد موسى على الحياة الطويلة التي تمتعها كثير من أنسال شيث، لكي يربط بين بني إسرائيل وأنسال شيث. فمثلاً نعرف جميعنا أن نسل شيث وهو متوشالغ عاش أكثر من أي شخص آخر في تاريخ الكتاب المقدس. بحسب (تكوين ٥ : ٢٧)، عاش متوشالغ ٩٦٩ سنة. وعاش أنسال آخرون من شيث حياة طويلة أيضاً.

كان تركيز موسى على الحياة الطويلة التي عاشها أنسال شيث هاماً، كما تشير شريعة موسى، لأن الحياة الطويلة في أرض الموعد، كانت هدف المؤمنين من بني إسرائيل. إذاً، بإشارته الى الحياة الطويلة لأنسال شيث، أقام موسى رابطاً آخر بين أنسال شيث وبني إسرائيل.

إذاً، كتب موسى عن العنف السابق ورجاء الخلاص في تاريخ العصور البدائية، كي يقيم روابط ثابتة مع عالمه المعاصر. لقد اقترن قايين وأنساله بالمصريين الذين نشروا العنف في إسرائيل. واقترن أيضاً هابيل، وشيث، وأنسال شيث بالإسرائيليين الذين كانوا ضحايا العنف المصري. كانت هذه الروابط في جوهر استراتيجية موسى لهذا الجزء من التاريخ.

بعدما رأينا كيف عالج موسى سجل العنف السابق والرجاء، ننتقل باختصار الى (تكوين ٦ :

٨-١) "العنف اللاحق ورجاء الخلاص."

العنف اللاحق والرجاء

دعونا ننظر خاصة على الفصل ٦: ٤، حيث وصف موسى هؤلاء الرجال:

كَانَ فِي الْأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيْضاً إِذْ دَخَلَ بَنُو اللَّهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلَاداً. هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مِنْذُ الدَّهْرِ نَدُوُ اسْمٍ.

كنا قد ذكرنا أن الطغاة كانوا محاربين أقوياء، مشهورين بأعمالهم البطولية. لكن لاحظوا أن موسى ذكر ملاحظة هامة عن الطغاة. قال أنهم تواجدوا على الأرض في أيام العصور البدائية و "بعد ذلك أيضاً".

بكتابة هذا التلميح الى كون المحاربين الطغاة عاشوا بعد الطوفان، ذكّر موسى قراءه من بني إسرائيل بأنهم تقابلوا مع الطغاة في تاريخهم الحديث. المكان الآخر الوحيد في كل الكتاب المقدس الذي يظهر فيه اسم الطغاة هو في (العدد ١٣: ٣٢ و ٣٣). في تلك الفقرة، يذكر الجواسيس الذين أرسلهم موسى الى كنعان بأنهم رأوا الطغاة. وقد قدّموا هذا التقرير:

...الْأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا... وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ... فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ وَهَكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ.

ذكر الجواسيس غير المخلصين أن أرض كنعان كانت مكاناً ينتشر فيه العنف التهديد، وبين سكان كنعان كان الطغاة، لمحاربون الأشرار الذين ملؤوا قلوبهم بالخوف. للأسف، دفع ذلك التقرير الجيل الأول من الذين تبعوا موسى لأن يتحولوا عن دعوة الله لهم بالاستيلاء على الأرض. فانزعج الله كثيراً من عدم إيمانهم لدرجة أنه أرسل بني إسرائيل الى البرية ليتيهوا بدون هدف، حتى مات الجيل الأول، وبرز جيل جديد مستعد ليلبي الدعوة بالاستيلاء على الأرض.

في ضوء ما سبق، يمكننا أن ندرك كيف أقام موسى رابطاً قوياً آخر بين هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية وتجربة بنو إسرائيل. إنه أراد من قرائه الإسرائيليين أن يربطوا بين الطغاة في العصور البدائية في تكوين ٦، وبين المحاربين الجبابرة المخيفين في أرض كنعان. بهذه الطريقة العنف ورجاء الخلاص في (تكوين ٦: ١-٨) أثرا مباشراً على العنف الذي اندلع عند الاستيلاء على أرض كنعان.

قمنا لغاية الآن بفحص المعنى الأصلي لـ(تكوين ٤ : ١ الى ٦ : ٨)، ورأينا الشخصيات في العصور البدائية وارتباطها بالناس في الأحداث المعاصرة. علينا الآن أن نطرح سؤال آخر وهو: ما هي مضمون هذه الروابط على بني إسرائيل بينما كانوا يتبعون موسى وهو يتجه بهم نحو أرض الموعد؟

المضامين

كي نفهم جوهر رسالة موسى الى بني إسرائيل، علينا أن نتذكر السيناريو الأساسي الذي يظهر مرتين في هذه المادة. أنكم تذكرون أنّ المادة في (تكوين ٤ : ١ إلى ٦ : ٨) تحتوي على مشهدين من العنف ورجاء الخلاص. ركّزت الفقرة في (٤ : ١ إلى ٥ : ٣٢)، على العنف الذي نشره قايين وأنساله. ومع هذا، فإن (٥ : ٢٩ و ٣٢) تذكران نوحاً، كي تشير الى أنّ الخلاص سيأتي من خلاله.

وبالطريقة نفسها، ومثلما ذكرت الآيات في (تكوين ٦ : ١-٨) العنف الذي أظهره أبناء الله والطغاة، فإن (تكوين ٦ : ٨) تذكر نوحاً مرة ثانية، لتشير الى أنّ الله قصد أن يخلص الشعب من هذه التهديدات أيضاً.

بالنسبة الى بني إسرائيل الذين كانوا يتبعون موسى، كانت هذه السيناريوهات أخباراً حسنة. أعلنت ما فعله الله لأجلهم، وأيضاً ما كان سيفعله من أجلهم. فمن الناحية الأولى، مثلما استخدم الله نوحاً لإنقاذ أجداد بني إسرائيل من الكنعانيين، استخدم موسى لإنقاذ بني إسرائيل من المصريين. ومن الناحية الثانية، مثلما استخدم نوحاً ليخلصهم من الطغاة في العصور البدائية، كان سيستخدم موسى لينقذ بني إسرائيل عندما واجهوا تهديد الطغاة في أرض كنعان.

بعدما رأينا بنية (تكوين ٤ : ١ إلى ٦ : ٨) ومعناها الأصلي، ننقل الى موضوعنا النهائي وهو: التطبيق الحديث. ماذا يعلمنا العهد الجديد عن كيفية تطبيق هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية الذي كتبه موسى على حياتنا المعاصرة؟

التطبيق العصري

بحسب أسلوبنا العادي، سنكتشف كيف يشرح العهد الجديد بالتفصيل هذه الموضوعات بموجب المراحل الثلاثة لملكوت المسيح: أولاً، تأسيس الملكوت الذي حدث عندما جاء المسيح الى هذه الأرض لأول مرة؛ وثانياً، استمرار الملكوت الذي يمتد على مدى تاريخ الكنيسة؛ وثالثاً، استكمال الملكوت عندما يعود المسيح في المجد ويصنع السماوات الجديدة والأرض الجديدة. ينبغي استكشاف هذه المراحل كل على حدة كي نحصل على فهم كامل للطرق التي يُطبَّق فيها موضوع العنف والخلاص على المؤمنين اليوم. دعونا أولاً نلقي نظرة على دوافع العنف ورجاء الخلاص في تأسيس الملكوت.

التأسيس

إنَّ تأسيس الملكوت عند مجيء المسيح الأول يذكّرنا بعالم العنف في تاريخ العصور البدائية بطريقتين على الأقل. أولاً، نرى الروابط بين عالم العنف ذلك والعنف الذي عانى منه يسوع عندما كان في العالم. وثانياً، نرى هذه الروابط بعلاقتها بالخلاص الذي حقّقه المسيح لشعبه. دعونا ننظر أولاً لعذاب يسوع الذي اختبره عند مجيئه الأول.

العنف

كل من يعرف حياة يسوع يعلم أنه عانى من الاضطهاد من العالم بطرق عديدة. فلقد حمل أحزان وآلام المستضعفين عندما كان يخدمهم. بدون شك وبحسب العهد الجديد، فإن ذروة العنف الذي ارتكب ضد المسيح كانت في موته على الصليب. لقد عانى أحد أسوأ أشكال أحكام الموت المعروفة في زمنه، وبهذا فإنه بالحقيقة لاقى مصيراً أسوأ ممّا عاناه الأبرار في العصور البدائية. في ضوء الحقيقة، ليس من المستغرب أن طريقة واحدة يصف العهد الجديد الام المسيح، هي مقارنة موته على الصليب بالعنف في العصور البدائية، أو أكثر تحديداً، بموت هابيل. وبالطريقة نفسها، عرف كاتب الرسالة الى العبرانيين أنّ المسيح تألم على أيدي الأشرار. ولهذا السبب، قارن في رسالته موت المسيح بموت هابيل في (١٢: ٢٣-٢٤):

بَلْ قَدْ أَتَيْنُكُمْ إِلَى... اللهُ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَالِي أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَالِي وَسِيطِ الْعَهْدِ
الْجَدِيدِ: يَسُوعَ، وَالِي دَمِ رَشِي يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلِ.

إنَّ التلميح الى تاريخ العصور البدائية واضح. إنَّ دم المسيح المسفوك تكلم أفضل وأعظم من دم هابيل. أي أنَّ موت المسيح كان أكثر أهمية في عيني الله من موت هابيل. لم يكن موت يسوع حادثة عادية، إذ أنَّ موته كَفَّرَ عن خطايا الشعب لأنه تالم بدلاً عن كل مَنْ آمَنَ به. والأكثر من هذا، أغضب موت المسيح الله العادل أكثر بكثير ممَّا أغضبه دم هابيل. في ضوء ما سبق، عندما نقرأ السجل الذي كتبه موسى عن العنف في تاريخ العصور البدائية، لا يكفي أن ندرك السبب الذي كتب موسى من أجله هذه الإصحاحات لقراءه الأصليين من بني إسرائيل. بل علينا أن نرى من خلال وجهة نظر العهد الجديد، أنَّ العنف الذي ارتكب ضد الأبرار في تاريخ العصور البدائية كان توقُّعاً لالام المسيح عند تأسيس ملكوته. بعدما رأينا كيف يقيم العهد الجديد الروابط بين العنف في عالم العصور البدائية وبين الام المسيح، ننقل الى الطريقة الثانية التي نرى فيها العلاقة بين تأسيس الملكوت وذلك الجزء من التكوين. يظهر أمامنا رابط هام في رجاء الخلاص الذي جاء به يسوع في العالم.

التحرير

سرف يسوع غالبية فترة خدمته العلنية وهو ينادي برسالة الرجاء، أي الإنجيل، الرسالة التي تقول أنَّ الام الحياة سوف تنتهي بالنسبة الى الذين يتبعونه. يَظْهَرُ لنا التزام يسوع برسالة الإنجيل هذه في كل تعاليمه. لكن لاحظوا كيف تبدو رسالة الخلاص بارزة في التطويبات، أي في العبارات الافتتاحية للبركات في الموعظة على الجبل. عندما ابتداء يسوع هذه الموعظة الشهيرة، قال هذه الكلمات المدونة في متى ٥: ١٠-١٢:

طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبَرِّ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ
وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شَرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِ كَانِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا. لِأَنَّ
أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ.

تعلن هذه التطويبات أنّ أحد الاهتمامات المركزية في تعاليم يسوع كان إيصال رسالة الرجاء بأن الله لم يهجر شعبه. حتّى يسوع أتباعه على الرجاء بأن الله سينقذهم يوماً ما من كل الامهم. لكن يسوع لم يعلم الأخبار السارة عن رجاء الخلاص فقط، لكنه من خلال موته وقيامته حقّق الخلاص الذي أعلن عنه. ولأن يسوع كان ابن داود الكامل، فإن موته كفّر عن خطايا شعب الله. وموته دفع ثمن خطايانا، فلا حاجة إذن أن يخاف أتباعه بعد الآن من رهبة الموت. ما نقرأ في (عبرانيين ٢: ١٤-١٥)، أنّ يسوع مات:

...لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيِ إِبْلِيسَ. وَيُعْتِقَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ.

وهكذا نرى أنّ موضوعي العنف ورجاء الخلاص ينطبقان مباشرةً على تأسيس ملكوت المسيح. وكما كتب موسى ليؤكد التهديدات ضد بني إسرائيل، ويبيّن لهم قوة الله التي تخلّص، يعلن العهد الجديد أنّ المسيح أتى ليعاني من العنف ويخلّص شعبه من قوة الشر التي في العالم. بعدما رأينا بعض الطرق التي بها يربط العهد الجديد بين مجيء يسوع الأول وبين تاريخ العصور البدائية، علينا أن نلاحظ أيضاً كيف يطبق العهد الجديد هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية على استمرار الملكوت، أي الوقت الفاصل بين مجيء المسيح الأول والثاني.

الاستمرار

توجد طريقتان على الأقل يشرح بهما العهد الجديد علاقة استمرار الملكوت بموضوعات (تكوين ٤: ١-٦: ٨). وتعطينا هذه الآيات إرشاداً أساسياً بينما نطبّق هذا الجزء من الكتاب المقدس على الكنيسة المسيحية. فمن الناحية الأولى، يعلم العهد الجديد أنه علينا أن نتوقع استمرار العنف ضد شعب الله ومن الناحية الثانية، يشجّعنا على احتمال هذه الأوقات الصعبة بإيماننا المستمر في المسيح لأجل الخلاص. فكروا أولاً بحقيقة أنه ينبغي أن نتوقع العنف ضد أتباع المسيح.

العنف المستمر

في عدة مناسبات أعلن يسوع أنّ أتباعه سوف يعانون من الكراهية والاضطهاد من العالم. لكنّ في (متى ٢٣: ٣٤ و ٣٥)، لفت يسوع بنفسه الانتباه الى حقيقة أنّ هذه الالام كانت مرتبطة بالام الأبرار في عالم العصور البدائية. قال يسوع للفريسيين:

لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصَلِبُونَ وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمِ زَكِيٍّ سَفَكَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَا...

تنبأ يسوع عندما أرسل أتباعه الى العالم، بأنهم سوف يُضطهدون بقسوة. لكن لاحظوا كيف ربط يسوع هذا التنبؤ بتاريخ العصور البدائية. قال أنّ العنف الذي سيرتكب ضد أتباعه هو استمرار لنموذج العنف الذي امتدّ الى الماضي البعيد الى دم هابيل الصديق الذي قتله قايين.

الإيمان المستمر

عندما ندرك أنّ أتباع المسيح سوف يواجهون الاضطهاد أثناء استمرار الملكوت، نعرف أهمية الحفاظ على إيماننا بالمسيح. تطرّق كاتب الرسالة الى العبرانيين الى هذه القضية في الإصحاح ١١ من رسالته. نقرأ الكلمات التالية في (١١: ٤):

بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ شَهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللَّهُ لِقَرَابِيئِهِ. وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ.

إنّ الفكرة الرئيسية في هذه الفقرة هي أنّ أتباع المسيح في كل العصور يجب أن يتبعوا مثال هابيل. مع أنّ برّ هابيل جلب عليه المتاعب من قبل أخيه الشرير، إلاّ أنه يبقى مثلاً للأمانة والإخلاص يقتدي به كل المؤمنين حتى في أيامنا هذه.

إذاً، نرى أنّ موضوعي العنف والخلاص في تاريخ العصور البدائية ينطبقان أيضاً على أتباع المسيح أثناء استمرار الملكوت. من الناحية الأولى، ينبغي أن نكون مستعدين لمواجهة المقاومة

والعنف في عصرنا. ومن الناحية الثانية، عندما نحتمل هذه الأوقات الصعبة، سننتصر فقط عندما نكون مخلصين، بينما نترجى أن يأتي المخلص لينقذنا يوماً ما.
بعدها رأينا كيف أنّ موضوعي العنف والخلاص يتلائمان ويتوافقان مع تأسيس الملكوت واستمراريته، ننتقل الى المرحلة الأخيرة من ملكوت المسيح، أي مجيئه الثاني.

الاكتمال

وبكل بساطة، يعلن العهد الجديد أنه عند عودة المسيح سنرى نهاية للعنف ضد شعب الله وسنختبر خلاصاً نهائياً ينقلنا الى عالم من البركات الأبدية.

نهاية العنف

إنّ نهاية العنف جانب مركزي من جوانب الصورة التي يقدمها العهد الجديد عن نهاية العالم. عندما يجيء المسيح ثانية، سيصنع عالماً جديداً يشمل الخليقة كلها فتصبح خالية من العنف. لنصغ الى الطريقة التي وصف بها يوحنا مجيء المسيح الثاني في (الرؤيا ٢١ : ١-٥):

ثُمَّ رَأَيْتُ سَمَاءَ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً، لِأَنَّ السَّمَاءَ الْأُولَى وَالْأَرْضَ الْأُولَى مَضَتَا...
وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً... وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمُ الْهَاءَ لَهُمْ.
وَسَيَمْسُحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ
وَلَا صَرَخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ. وَقَالَ الْجَالِسُ عَلَى
الْعَرْشِ هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيداً.

التحرير النهائي

وفي الوقت نفسه، فإن استكمال ملكوت المسيح لن تضع نهاية للعنف فحسب. فإن المسيح عند مجيئه الثاني، سيهب شعبه بركات أبدية من الحياة والسلام، وعندها سيكون خلاصنا كاملاً ونهائياً. في (الرؤيا ٢٢ : ١-٢) نقرأ العبارات التالية عن خلاصنا النهائي:

وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لَأَمِعًا كَبَلُورٍ خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللَّهِ وَالْخُرُوفِ. فِي وَسْطِ سُوْقِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ شَجَرَةٌ حَيَاةٍ تَصْنَعُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ثَمْرَةً، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا، وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الْأُمَّمِ.

يظهر هذا الرجاء للخلاص النهائي عند مجيء المسيح الثاني في كل العهد الجديد. إنه يعبر عن ذروة الإيمان المسيحي. إننا نتوق شوقاً لليوم الذي سوف تُستبدل فيه ضيقات وصعوبات هذا العالم بروعة الحياة الجديدة في العالم الآتي. يُستبدل الحزن بالفرح، والصراع بالنصر، ويُستبدل الموت بالحياة الأبدية.

وهكذا نرى أنه كما أنّ موسى كتب عن العنف في العصور البدائية ليشجع بني إسرائيل للتحرك نحو كنعان، هكذا يعلمنا العهد الجديد أن نتوق الى العالم الجديد الآتي عن نهاية العالم. عندما يعود المسيح ثانية، سيرى كل الذين آمنوا به نهاية للعنف، وسيرون خلاصاً كاملاً ومجيداً يدوم الى الأبد.

الخلاصة

تطرّقنا في هذا الدرس الى عدة جوانب من العنف في عالم العصور البدائية المذكور في (تكوين ٤ : ١ الى ٦ : ٨). ورأينا بنية هذا الجزء من سفر التكوين، ورأينا كيف أنّ موسى كتب هذه المادة ليشجع بني إسرائيل الذين تبعوه نحو أرض كنعان. وتعلمنا أيضاً أننا كمؤمنين بالمسيح علينا أن نطبّق هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية في إيماننا الذي في العهد الجديد. عندما ننظر الى هذا الجزء من سفر التكوين كما قصد موسى أن ينظر اليه بني إسرائيل، فإنه يصبح أكثر من مجرد سجل لأحداث الماضي. كما نستطيع أن نرى أنه مثلما خلّص الله الشعب من العنف في العصور البدائية، وخلّص بني إسرائيل لاحقاً في أيام موسى، يزداد رجاؤنا بمجيء المسيح ليخلصنا يوماً ما من عالم العنف أيضاً.